المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
ISSN 2710-0952 (Print) ISSN 2790-1254 (Electronic)
العدد 7 لسنة 2022- تشرين2
No. 7 – November 2022

السَّلالم الحجاجيَّة في كتاب (جمع الجواهر في المُلح والنَّوادر) للحصْري القيرواني ـ قانون الخفض أنموذجًا

أ.غادة محسن العوفي
محاضر بجامعة الملك عبدالعزيز

مستخلص:

الحِجاج مجموعة من الحجج تهدف إلى تحقيق نتيجة تستميل المتلقِّي، لأنَّه لا يقتصر على الاستدلال العقلي فقط، بل يشمل الحِجاج اللُّغوي الَّذي ينبع من اللُّغة باعتباره أداة كامنة فيها؛ لذا تهدف هذا الدِّراسة إلى محاولة لمعرفة تدرج الحجج في نوادر الحصري وترتيبها وفق قوانين السلالم الحجاجية عامة، وقانون الخفض خاصة، وهل هي ذات تأثير للخطاب، وما هي العوامل التي ساعدت في تدرج الحجج. وقد اعتمدت الدِّراسة على المنهج الحجاجي التداولي؛ لتتبع الحجج المدرجة. وتوصلت الدِّراسة إلى مجموعة من النَّتائج أهمها أنَّ السُّلَّم الحِجاجي عند الحصري يبدأ بحجة ضعيفة، ثمَّ يتدرج بطريقة تراتبيَّة في سرد الحجج؛ حتَّى يصل إلى الحجة الأقوى أقوى الحجج، ويخرج بنتيجة يقنع بها المتلقي. كما أوصت الدِّراسة بضرورة دراسة الحِجاج البلاغي على تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحيَّة: الحِجاج-السلالم الحجاجية-الحصري-جمع الجواهر-قانون الخفض.

The pilgrim ladders in the book (Collecting the Jewels in the Salt and the Anecdotes) by Al-Husari Al-Qayrawani - The Law of Reduction as a Model

Ghada Mohsen Al-Awfi
Lecturer at King Abdulaziz University

Abstract:

Arguments are a set of arguments aimed at achieving a result that appeals to the recipient, because it is not limited to mental reasoning only, but also includes linguistic arguments that stem from language as an underlying tool in it. Therefore, this study aims to try to find out the hierarchy of arguments in the anecdotes of Al-Husari and their arrangement according to the laws of the argumentative staircases in general, and the law of reduction in particular, and whether they have an impact on the discourse, and what are the factors that helped in the gradation of arguments. The study relied on the deliberative argumentative approach. To keep track of the arguments included .The study reached a set of conclusions, the most important of which is that the argumentative ladder at Al-Husari begins with a weak argument, and then progresses in a hierarchical manner in the narration of the arguments; Until he reaches the strongest argument, the strongest arguments, and comes out with a conclusion that convinces the recipient. The study also recommended the necessity of studying rhetorical pilgrims on social media applications.

Keywords: pilgrims - pilgrim stairs - exclusive - collecting gems - law of reduction.

مقدمة

تكمن قوَّة الحِجاج في تسلسل الحجج وترتيبها في النَّصِّ الخطابي وفق ما يقتضيه الاتِّصال بين العناصر الخطابيَّة، وهذا يُعرف عند ديكرو بالسُّلَّم الحِجاجي، الَّذي يهتم بدراسة ترتيب العلاقات بين الحجج داخل الخطاب مع بيان درجة كلِّ كلام وأهميته، إذ أنَّ الباث (المتكلِّم) يستعين بتراكيب لغويَّة متباينة مرتبة

ترتيبًا تصاعديًّا يجعل القول يتسلسل في دلالته منطلقًا انطلاقًا تدريجيًّا من أضعف حجَّة إلى أقوى حجَّة،[1] متخذًا منها أساسًا للمحاجَّة حتَّى يصل إلى التَّأثير والإقناع في المتلقِّي. ويمثله النَّموذج الآتي:

النَّتيجة (R)
↑
الحجَّة القويَّة (P1)
الحجَّة الضَّعيفة (P)

وهو علاقة ترتيبيَّة للحجج، يمكن أن نرمز لها كالآتي: (ب)، و(ج)، و(د): حجج وأدلة تخدم النَّتيجة (ن).
فالسُّلَّم الحِجاجي عند ديكرو "فئة حِجاجيَّة موجهة"،[2] وهو عبارة عن "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوَّدة بعلاقة ترتيبيَّة"،[3] وله شرطان أساسيان، هما:

- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السُّلَّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطَّرف الأعلى جميع الأقوال الَّتي دونه.
- كلّ قول كان في السُّلَّم دليلًا على مدلول معيَّن، وكان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى عليه.[4]

ويتسم السُّلَّم الحِجاجي بسمتين رئيستين، هما:

- الحجَّة الَّتي ترد في درجة معينة من السُّلَّم تكون الحجج الَّتي تعلوها أقوى منها.
- إذا كانت الحجَّة (ب) تؤدِّي إلى النَّتيجة (ن) فهذا يستلزم أن (ج) أو (د) الَّذي درجة يؤدِّي إليها، والعكس غير صحيح.[5]

وهذا السُّلَّم الحِجاجي يقوم على مبدأ التَّدرج التَّصاعدي للحجج من الأضعف إلى الأقوى، لذا لا بُدَّ أن يخضع لقوانين تنظمه، وتتمثَّل في قانون النَّفي، وقانون القلب، وقانون الخفض.
ينتج قانون الخفض عن طريق النَّفي اللُّغوي الوصفي، الَّذي يكون مساويًّا لعبارة (moins que)، أيّ "إذا صدق القول في مراتب معينة من السُّلم، فإنَّ نقيضه يصدق في المراتب الَّتي تقع تحتها".[6] ومثاله:
الجو ليس باردًا-لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل. وهنا نستبعد احتمال أنَّ الجوَّ بارد، فلم يحضر الأصدقاء للحفل، ثمَّ يؤول القول إلى:
إذا كان الجوُّ ليس باردًا فهو دافئ أو حار- لم يحضر إلا قليل من الأصدقاء للحفل.
وقد وقع قانون الخفض في مؤلَّف (جَمْعُ الجَواهِرِ في المُلَحِ والنَّوادِرِ) في النُّصوص الآتية:

النَّموذج الأوَّل:

قال: "وأهل الشَّام غاية في الجهل والغباوة. ودخل رجل من أهل العراق الشام في أيَّام عبدالملك في حوائج له، فحجب عنه، فدخل في غمار النَّاس، فقال عبدالملك لجلسائه: ما معنى قول الشَّاعر:

إذا ما المواشط باكرنها وأتبعن بالظّفر وحفًا طويلا
تخذن القرون فعقّلنها كعقل العسيف غرابيب ميلا

يصف شعر امرأة، والوحف: البشام، والعسيف: الأجير، والغرابيب الشَّديدة السَّواد؛ يريد عناقيد الكرم. وروي عراجين ميلًا فسكتوا عن آخرهم. فقال العراقي لرجل من أهل الشَّام له بزة وهيئة: أرأيتك إن أخبرتك بمعناه وحصل لك الحظ عند أمير المؤمنين أتقربني منه حتَّى أسأله حاجتي؟ قال: لك ذلك. قال: إنَّما يصف البطيخ، فوثب الشَّامي، وقال ذلك، فافتضح وانقلب المجلس ضحكًا. فقال له عبدالملك: من أين لك هذا العلم؟ قال: هذا العراقي ابن اللَّخناء قال لي ذلك. فقال عبدالملك: ما أدخلك؟ اذكر حاجتك؟ فذكرها فقضاها له وقال: اخرج من الشَّام لا تفسدها عليَّ بمجاورتك".[7]
وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة ضمنيَّة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

استظراف الرَّجل العراقي وتهكمه على أهل الشَّام وطلب عبدالملك منه المغادرة	ن
عدم احترام الرجل العراقي للرجل الشَّامي، وإعطائه المعنى الخاطئ للأبيات	ح4
عرض عبدالملك على جلسائه أبيات شعريَّة رغبة في معرفة المعنى	ح3
قدوم رجل من أهل العراق إلى الشَّام في قضاء حاجة له	ح2
جهل أهل الشَّام واتِّصافهم بالغباء	ح1

من السُّلَّم السَّابق يتضح لنا أنَّ النَّصَّ بدأ بحجة ضعيفة لا أساس لها، وهي جهل أهل الشَّام، وتوالت بعد ذلك الحجج بدءًا من قدوم الرَّجل العراقي إلى الشَّام، ورغبته في الدُّخول إلى الحاكم (عبدالملك)؛ لقضاء

حاجته، ثمَّ استظرافه عليهم من خلال إعطائه لرجل الشَّامي معنى خاطئًا لبيت من الشِّعر؛ رغبة منه الاستظراف عليهم، والتَّهكم بهم، ثمَّ طلب عبدالملك منه المغادرة حتَّى لا يفسد البلد بسخريته واستهزائه، وحتَّى لا تصبح صفة ملازمة لأهل الشَّام يتداولها العامَّة بعد ذلك.

النَّموذج الثَّاني:

"ودخل إيَّاس بن معاوية بن قرة الشَّام وهو صغير؛ فخاصم شيخًا إلى القاضي وأقبل يصول عليه، فقال القاضي: اسكت يا صبي. فقال: فمن ينطق بحجتي؟ قال: إنَّه شيخ كبير، قال: إنَّ الحقَّ أكبر منه. قال القاضي: ما أراك تقول حقًا؛ فقال: لا إله إلَّا الله. فركب القاضي من وقته إلى عبدالملك فأخبره فقال: عجل بقضاء حاجته وأخرجه من الشَّام لئلا يفسدها".[8]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة مضمرة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

ن	قضاء حاجة الصَّبي الصَّغير وإخراجه من الشَّام
ح6	ذهاب القاضي إلى عبدالملك وإخباره بقصَّة الصَّبي
ح5	الشَّيخ كبير وله هيبة ووقار، والصَّبي صغير ضعيف الحيلة لكنَّه قوي الحُجَّة (الحقّ أكبر من الشَّيخ)
ح4	مطالبة الصَّبي الصَّغير بنطق حجته وسماع القاضي له
ح3	إسكات القاضي لهذا الصَّبي الصَّغير
ح2	تخاصمه مع شيخ وذهابه إلى القاضي
ح1	دخول إيَّاس بن معاوية الشَّام، وهو صبي صغير السِّن

من السُّلَّم الحِجاجي نلحظ أنَّه يحوي حججًا عدَّة تؤدِّي لنتيجة واحدة مضمرة تفهم من سياق النَّصِّ، مفادها أنَّ إيَّاس بن معاوية فطنٌ ولديه ذكاء ودهاء، وأيضًا خوف عبدالملك منه حتَّى لا يفسد الشَّام ويغيِّر حالها.

النَّموذج الثَّالث:

"مزيد المديني، قالت له امرأته يومًا ليس شيء أربح من عمل النَّبيذ، فعملته، فأتاها برجل معه درهم واحد. فقالت له: لا أبيعه إلَّا جملة، فأتى صاحب الشُّرطة فقال له: إنَّ امرأتي عندها نبيذ؛ فوجه الحرس، وقال: كونوا معه، فإن كان في بيته نبيذ فاطرحوه وامرأته في الحبس، وإن لم يكن فيه شيء فردوه إليَّ. فجاؤوا فدخلوا منزله فوجدوا النَّبيذ. فقال لامرأته: قد جئتك بمن يأخذه جملة، فكسروا جرار النَّبيذ وجلدوهما جميعًا، ومضوا بهما إلى الحبس، فلما حصلا فيه قال لامرأته: وأزيدك فائدة نحن فيه لم تخطر ببالك. قالت: وما هي يا مشؤوم؟ قال: استرحنا من كرى البيت".[9]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

ن	ارتياح المديني من دفع إيجار المنزل
ح6	حبس الزَّوجين وجلدهما، وكسر جرار النَّبيذ
ح5	مجيء صاحب الشُّرطة لمنزل الزَّوجين
ح4	بيع الزَّوجة للنبيذ جملةً
ح3	مجيء رجل بدرهم واحد يريد شراء النَّبيذ
ح2	اتِّجاه هذه الزَّوجة لعمل النَّبيذ والمتاجرة فيه
ح1	رغبة زوجة مزيد المديني في عملٍ يدر عليها مالًا وفيرًا

من السُّلَّم الحِجاجي نجد أنَّ النَّتيجة النِّهائيَّة هي جلد الزَّوجين وحبسهما في السِّجن نتيجة بيع الزَّوجة للنبيذ، ويؤكِّد إثبات فعلتها استعمال الباث (المتكلِّم) الفاء في سرد الأحداث، وأنَّها جاءت تعاقبيه تراتبية، كما أنَّ حجة الزَّوجة ضعيفة جدًّا وهي لجؤها لبيع النَّبيذ جملةً، وهذا أمر ممنوع لكن حجة صاحب الشُّرطة قويَّة؛ لأنَّه وجد جرار النَّبيذ في منزل الزَّوجين.

النَّموذج الرَّابع:

"وحصلت لأبي علقمة النَّحوي علة، فدخل عليه أعين الطَّبيب يعوده. فقال: ما تجده؟ قال: أكلت من لحوم هذه الجوازل، فطسئت طسأة، فأصابني وجع ما بين الوابلة إلى دأية العنق، فما زال يزيد وينمى حتَّى خالط الخلب والشَّراسف، فما ترى؟ قال: خذ خريقًا وسلفقًا وشبرقًا فزهزقه وزقزقه واغسله بماء روث واشربه.

فقال: ما تقول؟ فقال: وصفت لي من الدَّاء ما لا أعرف، فوصفت لك من الدَّواء ما لا تعرف. قال: ويحك فما أفهمتني. قال: لعن الله أقلنا إفهامًا لصاحبه".[10]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

عدم وصف الطّبيب الدَّواء للمريض	ن
شرح أبي علقمة للطبيب سبب مرضه	ح3
مجيء الطّبيب له	ح2
مرض أبي علقمة النَّحوي	ح1

من السُّلَّم الحِجاجي نرى تأثير المفردة في عمليَّة التَّواصل والإفهام، فقد بُني السُّلَّم من حجج صغرى لفهم عمليَّة التَّدرج من الحجج الضَّعيفة إلى الحجج القويَّة وصولًا إلى النَّتيجة، فمرض الرَّجل، ومجيء الطَّبيب له، ووصفه لمرضه وعلته بكلام لا يفهم، وبالتالي مجاراة الطَّبيب له ووصفه دواء لا يفهم، كلّ هذا أدَّى إلى عدم التَّواصل بين الطَّبيب والمريض.

النَّموذج الخامس:

"دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبدالله بن المرزبان. فقال لابن منارة: أحبّ أن أعبث بأبي العيناء. فقال له: لا تقوم به. فأبى إلَّا العبث به، فلما جلس أبو العيناء قال له: يا أبا عبدالله؛ لم لبست جباعة؟ قال: وما الجباعة؟ قال: الَّتي ما بين جبة ودراعة. قال أبو العيناء: لأنَّك صفديم. قال: وما صفديم؟ قال: الَّذي هو ما بين صفعان ونديم".[11]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

المجاراة في العبث	ن
عدم معرفة ابن المرزبان بالمعنى	ح6
معرفته بالمعنى بعد ذلك، ورده على ابن المرزبان	ح5
عدم معرفة أبي العيناء المعنى	ح4
سؤال ابن المرزبان لأبي العيناء لم لبست جباعة	ح3
رغبة ابن المرزبان العبث بأبي العيناء	ح2
دخول أبي العيناء على ابن منارة الكاتب ووجود أبي عبدالله بن المرزبان عنده	ح1

من الشَّكل السَّابق تتضح النَّتيجة القوَّية الَّتي وصل إليها السُّلَّم الحِجاجي، وهي مجاراة أبي العيناء لابن المرزبان في عبثه اللُّغوي، ومسايرته في ذلك.

النَّموذج السَّادس:

ويماثله أيضًا قول أبي علي البصير لأبي العيناء" "في أيّ وقت ولدت من النَّهار؟ قال: طلوع الشَّمس. قال: فلذلك خرجت مكديًا؛ لأنَّه وقت انتشار المساكين. فقال له أبو العيناء: بيني وبينك مناسبة العمى، قال: كلا: إنّي من عميان الدَّواب، وأنت من عميان العصا".[12]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة ضمنيَّة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

اشتراكهما في العمى	ن
استهزاء أبي علي بأبي العيناء	ح3
ولادة أبي العيناء عند طلوع الشَّمس	ح2
رغبة أبي علي البصير معرفة يوم ولادة أبي العيناء	ح1

من النَّموذج السَّابق يظهر لنا اشتراك أبي علي البصير وأبي العيناء في العمى وفقدان حاسة البصر. فقد بدأ الحوار بينهما بسؤال عن يوم الولادة، وكان جواب أبي العيناء وقت طلوع الشَّمس، لكن أبي علي استهزأ به وذكر له أنَّ هذا وقت خروج المساكين وانتشارهم للكدية والاستجداء، فذكر أبو العيناء اشتراك أبي علي معه في العمى، لكن هناك اختلاف بينهما فواحد أعمى دواب، والآخر أعمى عصا. وهذه النَّتيجة الَّتي ارتضاها أبو علي، ورغبته في التَّفريق بين وضعهما.

النَّموذج السَّابع:

"ذكر بعض أصحابه –ابن الرُّومي- قال: كنت أسايره ونحن سائرون، فلم انشب أن تراءيته قد ترجل عن دابته بسرعة، ولجأ إلى بعض الدَّكاكين وأسلم الدَّابة؛ فأمرت من أمسكها وأتيت إليه فقلت: ما بالك يا أبا الحسن؟ وإذا هو يضطرب اضطرابًا شديدًا؛ فأمسكت عنه حتَّى سكن وقام فركب الدَّابة. فقلت له: ما الَّذي هاجك؟ قال: أما ترى ذاك؟ وإذا برجل من العامَّة يحمل ذوبينا وهي عصا في طرفها حديد بشعبتين. فقلت: أراه. فقال: أو ما ترى البركار الَّذي بيده، ما يؤمنني أن يلويه على عنقي فيفتله".[13]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة ضمنيَّة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

خوف ابن الرُّومي من رجل يحمل عصا فيؤذيه ويلحق به الضَّرر الجسدي	ن
معرفة صاحبه سبب الاضطراب الشَّديد	ح5
الخوف والاضطراب اللَّذان ينتابان ابن الرُّومي	ح4
لجوء ابن الرُّومي السَّريع إلى الدَّكاكين وتسليم دابته لأحدها	ح3
نزول ابن الرُّومي من دابته	ح2
مسايرة ابن الرُّومي وصاحبه وخروجهما سويًّا	ح1

من السُّلَّم الحِجاجي السَّابق يتضح تدرج الحجج وتواليها؛ للوصول إلى نتيجة واحدة، وهي خوف ابن الرُّومي من الرَّجل الَّذي يحمل بين يديه عصا بطرفيها قطعة حديد؛ خوفًا منه من إلحاق الأذى به، ولف هذه العصا على عنقه وإيذائه.

النَّموذج الثَّامن:

"وكان محمَّد بن عبدالملك (ابن الزَّيات) على علمه وأدبه ألأم النَّاس، فمن عجيب لؤمه أنَّه كان له جار في انخفاض حاله، وكان بينهما ما يكون بين الجيران من التَّباعد؛ فلما بلغ محمَّد ما بلغ شخص الرَّجل إلى سر من رأى، فورد بابه وهو يتغذى، فوصل إليه وهو على طعامه، فتركه قائمًا لا يرفع طرفه إليه، فلما فرغ من أكله قال: ما خبرك؟ قال: قد أصارك الله أيَّها الوزير إلى أجل الآمال فيك، وصرف أعناق النَّاس إليك، وقد علمت ما كنت تنقمه عليَّ، وقد غير الدَّهر حالي؛ فوردت إليك مستقيلًا عثراتي، مستعطفًا على خلاتي.

فقال له: قد علمت هذا، فانصرف وعد إلي في غد. فولى الرَّجل؛ فلما صار في صحن الدَّار دعا به، فلما صار بين قال له: والله ما لك عندي شيء، ثمَّ أقبل على بعض من كان بين يديه، فقال: إنَّما رددته وآيسته بخلًا عليه بفسحة الأمل بقيَّة يومه".[14]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة ضمنيَّة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

لؤم ابن الزَّيات وتفننه في ذلك	ن
عدم مساعدة الجار لجاره، ورده خائبًا	ح4
طلب الجار الفقير المساعدة من جاره الغني	ح3
عدم إكرام ابن الزَّيات لجاره وعدم دعوته للطعام	ح2
قدم جار ابن الزَّيات له	ح1

من السُّلَّم الحِجاجي يظهر لنا البدء بحجة عادية، وهي زيارة الجار لجاره، لكن تدرجت الحجج من طلب الجار المساعدة، وانتظاره الطَّويل حتَّى ينتهي الجار من طعامه، وعدم دعوته للطعام... وخرجت الحجج المتوالية بنتيجة ضمنية مضمرة هي لؤم ابن الزيات وتفننه في إيذاء النَّاس وعدم مد يد العون لهم.

النَّموذج التَّاسع:

"قال أبو عبيدة: أجريت الخيل في الحلبة؛ فجاء فرس من الخيل سابقًا، فجعل رجل من النَّظارة يكثر الفرح ويكبر ويصفق. فقال له رجل إلى جانبه: يا فتى؛ الفرس لك؟ قال: لا! ولكن اللِّجام لي!".[15]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة ضمنيَّة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

التَّحكم والسَّيطرة	ن
مشاهدة رجل للفرس وفرحه وتصفيقه لسرعتها	ح3
مجيء فرس مسرعًا	ح2
وجود الخيل في المضمار	ح1

من السُّلَّم الحِجاجي نجد أنَّه بدأ بحجة ضعيفة مألوفة، ألا وهي وجود خيل في المضمار، وفرح رجل من الحضور بسرعة خيل آخر، هذه الحجج مجتمعة تقودنا إلى نتيجة مضمرة تفهم من سياق الكلام (لكن اللِّجام لي) مفادها تحكم الإنسان وقدرته على السَّيطرة على الأمور الحياتيَّة وتمكنه من التَّعايش معها.

النَّموذج العاشر:

"نازع بعض التَّميميين رجلًا من بني عمه في حائط بينه وبينه، فيعث إلى قوم ليشهدهم، فأتاه جماعة من القبائل، فوقف بهم عليه، وقال: أشهدكم جميعًا أنَّ نصف هذا الحائط لي!".[16]

وورد في هذا النَّص حجج تراتبيَّة تخدم نتيجة واحدة ضمنيَّة، يمكن إيضاحها بالسُّلَّم الحِجاجي الآتي:

	ن
بساطة التَّفكير	
إشهاد القوم على أنَّ كلَّ واحد منهما يملك نصف الحائط	ح3
الإرسال إلى جماعة من القبائل	ح2
تنازع اثنين حول حائط بينهما	ح1

يتضح لنا من السُّلَّم الحِجاجي أنَّه بدأ بحجة منازعة بين اثنين من أبناء العمومة حول حائط بينهما، ويتدرج السُّلَّم في ذكر الحجج من إرسالهما للقوم، وإشهادهم على الأمر، وأنَّ كلَّ واحد منهما يملك نصف الحائط، وهذا يقودنا إلى نتيجة مضمرة، وهي سذاجة العقل، وبساطة التَّفكير، الأمر الَّذي قاد المتلقي إلى الفكاهة والطَّرافة مع التَّرويح عن النَّفس.

ممَّا سبق يتضح أنَّ السُّلَّم الحِجاجي في مؤلَّف (جمع الجواهر في المُلح والنَّوادر) يبدأ بحجة ضعيفة، ثمَّ يتدرج بطريقة تراتبيَّة في سرد الحجج الواحدة تلو الأخرى؛ حتَّى يصل إلى أقوى الحجج، الَّتِي جميعها تخدم نتيجة واحدة إمَّا تكون صريحة أو ضمنيَّة؛ لأنَّ الحصري يهدف إلى تعزيز روح النَّادرة عند قراءة المتلقي لها واستمتاعه بها، لذا يحشد كلّ الحجج حتَّى يروج للتسلية والمتعة، ويدفع الملل والضَّجر عن المتلقي من خلال مزجه بين الجدِّ والهزل والانتقال بينهما.

هوامش البحث:

(1) السُّلَّم الحِجاجي يشبه نظريَّة (التَّدرج الهرمي للحاجات) لأبرهام ماسلو (Abraham Maslow) للاستزادة يُنظر: ممدوح الكناني، الأسس النَّفسيَّة للابتكار، ط1 (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتَّوزيع، 1990م).

(2) أبو بكر العزاوي، اللُّغة والحِجاج، ط1 (الدَّار البيضاء: د.ن، 1426ه-2006م)، 21.

(3) طه عبدالرَّحمن، اللِّسان والميزان أو التَّكوثر العقلي، ط1 (الدَّار البيضاء: المركز الثَّقافيّ العربيّ، 1998م)، 24.

(4) المرجع السَّابق، 277.

(5) أبو بكر العزاوي، مرجع سابق، 22.

(6) طه عبدالرَّحمن، مرجع سابق، 277.

(7)أبو إسحاق الحُصْري، جمع الجواهر في المُلح والنَّوادر، تحقيق: محمَّد العزازي، ط1 (بيروت-لبنان: دار الكتب العلميَّة، 1439ه-2018م)،94.

(8) المرجع السَّابق، 96-97.

(9) المرجع السَّابق، 179-180.

(10) المرجع السَّابق، 183.

(11) المرجع السَّابق، 228.

(12) المرجع السَّابق، 247.

(13) المرجع السَّابق، 291.

(14) المرجع السَّابق، 298.

(15) المرجع السَّابق، 334.

(16) المرجع السَّابق، 356.